قصص الشعري على السنة الحيوان عبر الشرق والغرب

إعداد أ.د/ سيدة حامد عبد العال[1]

الكرة الأرضية التي نعيش عليها تطلع عليها شمس واحدة ، تحت هذه الشمس يعيش البشر يفكرون ويبدعون ، ومن أجمل ما أبدع العقل الإنساني فن القصة ، وفن الشعر .

وإذا كان الشعر إبداعا وجمالا للكبار ، فهو أكثر تأثيرا وتشويقا وإمتاعا وحفظا للصغار .

وبخاصة القصص الشعري الذي يعشقه الأطفال لأنه يطربه ويمتعه بموسيقاه الداخلية والخارجية .

وما يختص به الشعر من إيقاع يحرك الطفل جسميا ويؤثر عليه نفسيا فيتفاعل مع اللفظ والمعنى في آن واحد .

وبما يختص به الشعر من خيال واسع يأخذ معه الطفل إلى عوالم أخرى سحرية يستمتع بها

وإذا كان الشعر موسيقى ذات أفكار، تتميز بنغم يستميل السمع ويطرب النفس فيستثير الوجدان[2] .

وهذه الصور من الأشعار تخلق استجابات ذهنية لدى الأطفال تجعلهم في مواقع جديدة يتذوقون مواقع الجمال[3] .

ولعل ما كتبه إيسوب اليوناني[4] الذكي العقل ، المشوه الوجه ، المعقود اللسان ، الذي بيع كعبد من العبيد ، أساء إليه سيده ولم يحترم ذكاءه ، وقد روى عامر البحيري محقق العيون اليواقظ للشاعر محمد عثمان جلال حكايات كثيرة تبرز مدى ذكائه ، كما روى حكايات على ألسنة الحيوان كحكاية الذئاب عندما اصطلحوا مع الراعي ، ورهنوا عنده صغارهم ، وأخذوا كلابه رهنا عندهم .

(1) أستاذ اللغة العربية ـ كلية الآداب ـ جامعة حلوان .

(2) الطفل وأدب الطفل هدى قناوي 1 . . الأنجلو .

(3) أدب الطفل . . . . نعمان الهيتي 214 . هيئة الكتاب .

(4) مقدمة العيون اليواقظ . محمد عثمان جلال 21 . دار الكتب المصرية .

openkandil.com

إن الحكايات على ألسنة الحيوان أنقذته منا لعقاب أهمها التي رواها من أنه وقع في قبضة أعدائه ، وعندما حانت محاكمته بدأ يقص حكاية الملك الذي كان يجمع الجراد ويقتله إلى أن وقع في يده صرصور فلما هم بقتله ، التمس منه ألا يقتله لأنه لم يأكل من الحبوب شيئا ، ولم يؤذ أحدا ولا يملك غير صوته ، وقال إيسوب إنه مثل هذا الصرصور .

وهكذا دارت هذه الحكايات (من إيسوب) والتي أطلق عليه البعض (خرافات) إلى أن وصل ما كتبه إلى مائتي حكاية على ألسنة الطير والحيوان ثم تلتها حكايات كليلة ودمنة التي ترجمها عبد الله بن المقفع عن الفارسية ، وعندما ضاع الأصل الفارسي بقى الأصل العربي الذي ترجمه حسن واعظ كاشفي إلى الفارسية مرة أخرى ومنها إلى الفرنسية سنة 1644م وهذه التي اعتمد عليها لافونتين في خرافاته المشهورة[5] .

الخرافة الحيوانية :

مصطلح الخرافة الحيوانية أو (فابولا الحيوان) تلك الحكاية الرمزية أو الخلقية التي يقوم بها الحيوان بأدوار الإنسان وأهم أهدافها إبراز عيوب المجتمع وأمراضه كالنفاق والكسل والكذب والغباء وعدم تقدير الوقت وعدم احترام الآخرين والسخرية من ظلم الحكام والوزراء وغير ذلك مما لا يعرضهم للعقاب أو يوقعهم تحت طائلة القانون الحكايات على ألسنة الحيوان قديمة قدم الإنسان إلا أنها ارتقت ، ونضجت فنيا عبر العصور من خرافات إيسوب إلى كليلة ودمنة ثم لافونتين إلى عثمان جلال إلى أحمد شوقي إلى سيدة حامد وغيرهم .

إبداع لافونتين في الخرافات :

وضع لافونتين فلسفة لهذا الفن تشتمل على عنصرين : أحدهما الروح والثاني الجسد :

1ـ **الروح** : تتمثل في المعنى الخلقي والرمزي للحكاية ، أما الجسم : فهي الحكاية نفسها ورغم تقنينها ووضعها في إطار أدبي إلا أن اقتباسه من ابن المقفع وخاصة قصص : الأسد والذئب والثعلب والغراب والجمل والحمار وذلك لوجودها بذواتها ورموزها والتي تبرز فكرة التواصل الثقافي بين الشعوب شرقا وغربا ، وأن الفكر الإنساني ليس حكرا على مجتمع بعينه ويعبر عن هذا ، الرمزية التي تشير إليها هذه الحيوانات من تشابه الرمز في الحيوان مع الشخصيات الحقيقية .

فالثعلب رمز للمكر والدهاء ، والقط رمز للخداع والغدر ، والحمار للتحمل والغباء ، والصرصور للعبث ومضيعة الوقت، والأسد رمز للبطش والقوة والسلطة ، والقرد رمز للحيلة والنفاق ، والأرنب والديك للسلام .

---

(5) تاريخ الأدب الفرنسي . جوستاف لانسون ت محمد محمد القصاص ج1ـ 342 ، الأدب المقارن . محمد غنيمي هلال 188 . طبعة 1977 ، النص الأدبي للأطفال سعد أبو الرضا 57 . منشأة المعارف .

وهكذا استفاد لافونتين من كليلة ودمنة في رموزها للحيوانات ولكنه طورها من حيث وحدة الحكايات واستقلالها .

لأن ابن المقفع حكاياته متداخلة بعضها مع البعض ، مع الأخذ في الاعتبار الفترة الزمنية بينهما وبالتالي تطور التبويب والترتيب الذي بدا جليا عند لافونتين والدخول مباشرة في الحكاية ، دون تمهيد بسؤال أو نحو ذلك .

صاغ عثمان جلال حكاياته في أسلوب شعري ذيلها بحكمة مستخلصة منها فكانت في صور مختلفة مثل قول المتنبي : تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن (حكاية سيئ البخت) أو اقتباس من القرآن الكريم (إن يد الله مع الجماعة)

وإنني رضيت بالقناعة أحسن من مال ومن بضاعة

(حكاية صاحب المال والنعال)

التاج لا يصلح للقرود (الثعلب والقرد والوحوش)

إن البلاء موكل بالمنطق (حكاية الذئب في ملابس الراعي)

اسكت فليس كل ذا يقال كل مقام وله مقال (حكاية الحدأة والبلبل)

سعيت يا أختاه في أعظم كد وهكذا في السعي من جد وجد (السلحفاة والأرنب)

الأرنب والسلحفاة[6]

عند عثمان جلال

حكاية ترجمتها بالعربي في سلحفاة تسابقت مع أرنب

فاستغرق الأرنب نوما واتكل على قوى سرعته فما اتصل

و السلحفاة داومت في الجد فوصلت إلى أصول الحد

و مذ صحا الأرنب جاء يسعى رأى هناك السلحفاة ترعى

سعيت يا أختاه في أعظم كد وهكذا في السعي من جد وجد

هذه الحكاية بأحداثها متشابهة عند لافونتين وشوقي

(6) العيون اليواقظ مرجع سابق 62 رقم 21.

أما حكاية الدبة التي قتلت صاحبها عند ابن ا لمقفع وعند لافونتين ، جعل الدبة تقتل صاحبها وهي تطارد الذبابة ،و تناولها عثمان بنفس أحداثها ، وذيلها بالحكمة :

و غالبا كل عدو عاقل ..... في الناس خير من صديق جاهل[7]

بينما طور شوقي النهاية بعدما غير الزمان والمكان ، وجعل النهاية غرق ا لدبة الحمقاء ، ووصفها بالحمق وسوء الظن

الدب معروف بسوء الظن ..... فاسمع حديثه العجيب عنى

ثم قال عندما اضطربت السفينة من قوة الرياح :

و قال إن الموت في انتظاري ..... والماء لاشك به قراري
قد قال من أدبه اختياره ..... السعي للموت ولا انتظاره[8]

وكذلك حكايات الثعلب التي صاغها الثلاثة : لافونتين وجلال وشوقي ، الثعلب مع الأرنب ، الثعلب مع الأسد ، الثعلب مع الذئب ، الثعلب مع الجمل ، الثعلب مع الديك .

ذكرها لافونتين بأن الثعلب كان جائعا وسمع صوت الديك يؤذن فوق الشجرة وظل يغريه بالنزول من الشجرة ، إلا أن الديك استطاع أن يتغلب عليه بذكائه وطلب منه أن ينتظر دقيقتين حتى تأتى الكلاب .

ونفس الفكرة صاغها جلال مع تفاصيل أكثر مستوحاة من البيئة المصرية[9] عارضا حيلة الثعلب :

قد شاع فينا الصلح والأمانة ..... فلا تخف غدرا ولا خيانة
نحن غدونا في الديار إخوة ..... فانزل إلى إن تكن ذا نخوة
و اقصد عناقي إنني بشير ..... وبالأكف للهنا أشير
قال له الديك صحيح ما تقول ..... وقد سمعت دقا بالطبول
و هنا أرى كلبين مقبلين ..... عسى يكونان بساعيين

(7) العيون اليواقظ . محمد عثمان جلال 62 رقم 21 . دار الكتب المصرية .
(8) أدب الأطفال أحمد زلط 156 . دار النشر للجامعات المصرية ، الشوقيات ج4 / 182 .
(9) عثمان جلال 155 رقم 88 .

ففـــــزع الثعلـــــب للكلبيـــــن وفـــر يـــشكو لغـــراب الـــبين

وفي غـــــد آتـــــى إلى عناقـــــك فـــلا تؤاخـــذني علـــى فراقـــك

و قد أضاف إليها جلال شخص الغراب الذي يلجأ إليه الثعلب ليشكو له وهكـذا نجـد أن القـيم الإنسانية التي يسعى إليها الإنسان ومنذ الخليقة هي العامل المشترك والذي جعل هـذه الحكايـات تـدور على ألسنة الصغار والكبار عبر العصور والبيئات .

أما شوقي فقد أخرج هذه الحكاية وجعلها تتحرك أمامنا

برز الثعلب يومـــا ..... في ثياب الواعظينا

في البيت الأول عدة صور : أولا بروز الثعلب ليترك للقارئ أن يتصور من أين أتى ، ثـم يعـرض صورة فريدة بارتدائه ثياب الواعظين أي أنه خرج عن حقيقته ولجأ إلى الخداع بلـبس ثيـاب ليـست لـه وكيف أنه مشى في الأرض يسب الماكرين ، ويحمـد الله ، ويـدعو إلى التوبـة والزهـد في الطـير وأنهـى حكايته بالحكمة المعبرة :

مخطئ من ظن يومـــا ..... أن للثعلب دينـــا[10]

و هكذا عبر شعراء القصص الشعري وما يحتوى عليه من رموز في حكايات على ألسنة الحيوان في لغة شاعرة ، ومزج الثقافة العربية بالثقافة الغربية ، ومناسبتها للأطفال : باسـتعمال البحـور الـشعرية القصيرة المناسبة لهذا اللون من القصص، التي يحقـق المتعـة مـن خـلال الموسـيقى والإيقـاع الـداخلي والخارجي مما يجعل الأطفال يقبلون عليها، بل والتغني بها .

وقد أكثر الشعراء من استخدام بحـر الرجـز ، وكـذلك مجـزوءات البحـور الـشعرية : الرمـل، الكامل ، والمتقارب والمتدارك وغيرهـــا .

استخدم الشعراء ثقافتهم العربية في تذييل القصة الشعرية بالحكم والأمثال المناسـبة ، مـع حـسن استخدام الألفاظ المناسبة، وملائمة الحيوانات لصفاتها وسلوكها .

و أخيرا :

الناس كالأطفال مالنا غنـــا ..... من الحديث مطلقا ولا أنـــا

---

(10) الشوقيات ج 4 / 1.7 .

المراجع:

1ـ أدب الأطفال . د . أحمد زلط دار النشر للجامعات .
2ـ أدب الأطفال فلسفته فنونه وسائطه . د . نعمان الهيتي . الهيئة المصرية العامة للكتاب .
3ـ أدب الأطفال ، في البدء كانت الأنشودة د . أنس داود . دار المعارف .
4ـ الأدب المقارن . محمد غنيمى هلال . نهضة مصر .
5ـ تاريخ الأدب الفرنسي . جوستاف لانسون ترجمة محمد محمد القصاص .
6ـ خرافات لافونتين . عبد التواب يوسف مكتبة الأسرةـ هيئة الكتاب .
7ـ الشوقيات أحمد شوقي ـ مكتبة المؤيد 1898 .
8ـ الطفولة وأدب الطفل . د . هدى قناوى . مكتبة الأنجلو .
9ـ العيون اليواقظ في الأمثال والحكم والمواعظ . محمد عثمان جلال . هيئة الكتاب .
10ـ كليلة ودمنة عبد الله بن المقفع . دار الكتاب العربي . سوريـا .
11ـ لافونتين في الأدب العربي . د . مجدي شمس الدين .
12ـ النص الأدبي للأطفال . د . سعد أبو الرضا ـ منشأة المعارف .

obeikandl.com